عن القصد ، وعبثت بما رسمت من المبادىء فى توجيه سياسة البلاد ؟ بل الذى يعيبه كل العيب ألاّ يفارقها الى من هو أصدق منها فى تحقيق كريم الأغراض !

لو أن أولئك الأعيان إنما يتحولون ويضطربون بين الأحزاب المختلفة طوعاً لرأى يعتريهم ، أو لعقيدة تُدخلها الظروف عليهم ، لما استحقّوا إلا الحمد والثناء . أما وهم صامدون بآرائهم وعقائدهم لكل حزب يتولى الحكم ، فيهرولون لساعتهم اليه ، ويعلنون انضواءهم تحت لوائه ، ولا يتوانون فى كل مناسبة عن الأذان بأنه الحزب الصادق السعى فى تحقيق آمال البلاد ؛ حتى إذا ما أدال الله منه بالحكم لحزب غيره ، سرعان ما ولوا وجوههم شطره فأعلنوا أنهم بمبادئه مؤمنون ، وأنهم تحت لوائه منضوون ، لأنه قد بان لهم أنه الحزب لا حزب غيره ، الصادق المساعى فى إصلاح الحال ، القادر الكفء لتحقيق أعز الآمال !

وهكذا دواليك لا يُقعد عن هذا الرقص والحجلان وقار ولا تحشم ولا حياء ، حتى أصبحوا على البلاد من أشنع المعرات ، وحتى هوّنوا على غيرهم شأن الكرامة ، وأرخصوا فى الناس فضيلة الحياء ، وأعلنوا أن المبادىء والعقائد مما يُباع ويُشترى ، وأن الأهواء الحزبية مما يؤجر ويكترى ، وليس فى إطلاق هذا الصنع على أزلاله إلا إفساد الأخلاق ، وتوطيء النفوس لقبول الضعة والهوان .

* * *

وبعد ، فلقد تقتضينى الرأىَ فى علاج هذا الداء ، ولعله يتعاظمك هذا العلاج !

اللهم إن علاج هذا الداء فى بعض هؤلاء الأعيان ، إنما هو فى العلاج الذى وضعناه لشأن الموظفين . فانه ما دام الحكم جارية أسبابه على مقتضى النزاهة والعدالة ، والحرص على إقامة حدود القوانين ، بحيث يصل المرء الى حقه فى يُسر ، وبحيث يُحال بين المرء أيّاً كان وبين أن يبلغ ما لا حق له فيه بحال — لم يبق بأحد حاجة الى اللفّ والدوران ، والرقص والحجلان ، والتشكل فى مختلف الصور ، والتلون بشتى الألوان ، فهل نحن فاعلون ؟!

عبد العزيز البشرى

سُموّ الحُبّ

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

صاح المنادى فى موسم الحج : « لا يُفتى الناسَ إلا عطاءُ ابنُ أبى رَباح(1) » وكذلك كان يفعل خلفاءُ بنى أمية ؛ يأمرون صائحهم فى الموسم ، أن يدلّ الناسَ على مفتى مكة وإمامها وعالمها ، ليَلقَوْه بمسائلهم فى الدِّين ، ثم ليُمسِكَ غيرُه عن الفتوى ، إذ هو الحجة القاطعة لا ينبغى أن يكون معها غيرُها مما يختلف عليها أو يُعارضها ، وليس للمُحتجّ إلا أن تُظاهرَها وتَترادفَ على معناها

وجلس عطاءٌ يتحيّنُ الصلاةَ فى المسجد الحرام ، فوقف عليه رجلٌ وقال يا أبا محمد ، أنتَ أفتيتَ كما قال الشاعر :

سَلِ المُفتيَ المكّيَّ : هل فى تَزاوُرٍ
وَضَمّةِ مُشتاقِ الفؤادِ جُناحُ ؟
فقال : مَعاذَ اللهِ أن يُذهِبَ التُّقى
تلاصُقُ أكبادٍ بهنّ جِراحُ !

فرفع الشيخُ رأسه وقال : والله ما قلتُ شيئاً من هذا ، ولكنّ الشاعر هو نَحَلَنى هذا الرأىَ الذى نَفَثَه الشيطان على لسانه ؛ وإنى لأخاف أن تَشيعَ القالَةُ فى الناس ؛ فاذا كان غدٌ وجلستُ فى حلْقتى فاغدُ علىَّ ، فانى قائلٌ شيئاً

وذهب الخبر يؤُجّ كما تؤجّ النار ، وتعالَمَ الناسُ أن عطاء سيتكلم فى الحب ، وعجبوا كيف يدرى الحبَّ أو يُحسِنُ أن يقول فيه مَن عَبَرَ عشرين سنةً فراشُه المسجد ، وسمع من عائشة أمّ المؤمنين ، وأبى هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابنِ عباسٍ بحرِ العلم ! وقال جماعةٌ منهم : هذا رجلٌ صامتٌ أكثرَ وقته ، وما تكلم إلا خُيّل الى الناس أنه يُؤيَّد بمثل الوحى ، فكأنما هو نَجِيٌّ ملائكةٍ يَسمع ويقول ، فلعلّ

(1) ولد هذا الامام سنة ٢٧ هـ وتوفى سنة ١١٥ قالوا : ومات يوم مات وهو عند الناس أرضى أهل الدنيا

السماء موحية الى الأرض بلسانه وحياً فى هذه الضلالة التى عمّت الناس وفتنتهم بالنساء والغناء.

ولما كان غدٌ جاء الناس أرسالاً الى المسجد ، حتى اجتمع منهم الجمعُ الكثير . قال عبد الرحمن بنُ عبد الله بن أبى عمار : وكنتُ رجلاً شاباً من فتيان المدينة ، وفى نفسى من الدنيا ومن هوى الشباب ، فغدوت مع الناس ، وجئت وقد تكلم أبو محمد وأفاض ، ولم أكن رأيته من قبلُ ، فنظرتُ اليه فاذا هو فى مجلسه كأنه غرابٌ أسود ، إذ كان ابنَ أمةٍ سوداء تسمى « بَرَكة » ورأيته أسودَ أعورَ أفطسَ أشل أعرج مفلفل الشعر ، لا يتأمل المرءُ منه طائلاً ، ولكنك تسمعه يتكلم فتظن والله أن هذه قطعةُ ليلٍ تسطع فيها النجوم ، وتصعدُ من حولها الملائكة وتنزل

قال : وكان مجلسه فى قصة يوسف عليه السلام ، ووافقته وهو يتكلم فى تأويل قوله تعالى : « وراودَتْه التى هو فى بيتها عن نفسه ، وغلّقت الأبواب وقالت : هَيْتَ لك . قال : معاذَ الله ، إنه ربىّ أحسنَ مثواى ، إنه لا يُفلحُ الظالمون . ولقد همّتْ به وهمّ بها لولا أن رأى بُرهانَ ربّه ؛ كذلك لنصرفَ عنه السوء والفحشاء »

قال عبد الرحمن : فسمعتُ كلاماً قُدسياً تضعُ له الملائكةُ أجنحتَها من رضىً وإعجاب بفقيه الحجاز . حفظتُ منه قوله : عَجَباً للحب ! هذه ملِكةٌ تعشق فتاها الذى ابتاعه زوجُها بثمنٍ بخس ؛ ولكنْ أين مُلكُها وسطوةُ مُلكها فى تصوير الآية الكريمة ؟ لم تزد الآيةُ على أن قالت : « وراودته التى » و« التى » هذه كلمةٌ تدلّ على كل امرأةٍ كائنةً من كانت ؛ فلم يبقَ على الحب مُلكٌ ولا منزلة ؛ وزالت الملِكةُ من الأنثى !

وأعجَبُ من هذا كلمةُ « راودته » وهى بصيغتها المفردةِ حكايةٌ طويلةٌ تُشير الى أن هذه المرأة جعلتْ تعترض يوسفَ بألوانٍ من أنوثتها لونٍ بعد لون ؛ ذاهبةً الى فنٍ راجعةً من فن ؛ لأنها من رَوَدَان الأبل فى مشيتها ؛ تذهب وتجىء فى رِفق . وهذا يصوّر حيْرةَ المرأة العاشقة ؛ واضطرابها فى حبا ؛ ومحاولتها أن تنفذ الى غايتها ؛ كما يصوّر كبرياء الأنثى ، اذ تختال وتترفق فى عرض ضعفها الطبيعىّ ، كأنما هى شىءٌ آخر غيرُ طبيعتها ، فمهما تتهالكْ على من تحبّ وَجب أن يكون لهذا « الشىء الآخر » مَظهرُ امتناعٍ أو مظهرُ تحيرٍ أو مظهر اضطراب ، وان كانت الطبيعة من وراء ذلك مندفعةً ماضيةً مصممة

ثم قال : « عن نفسه » ليدلّ على أنها لا تطمع فيه ، ولكنْ فى طبيعته البشرية ، فهى تعرض ما تعرض لهذه الطبيعة وحدها ، وكأن الآية مصرّحةٌ فى أدبٍ سامٍ كل السموّ ، منزهٍ غايةَ التنزيه بما معناه : إن المرأة بذلتْ كل ما تستطيع فى إغوائه وتصبّيه ، مقبلةً عليه ومتدللة ومتبذلة ومنصبةً من كلّ جهة ، بما فى جسمها وجمالها على طبيعته البشرية ، وعارضةً كلّ ذلك عَرْضَ امرأةٍ خلعتْ أوّل ما خلعت أمام عينيه ثوب المُلك . »

ثم قال : « وغلّقت الأبواب » ولم يقل « أغلقتْ » وهذا يُشعر أنها لما يئست ، ورأت منه محاولة الانصراف ، أسرعتْ فى ثورة نفسها مهتاجة تتخيّل القُفل الواحد أقفالا عدّة ، وتجرى من بابٍ الى باب ، وتضطرب يدُها فى الأغلاق ، كأنما تحاول سدّ الأبواب لا إغلاقها فقط

« وقالت هَيْتَ لك » ومعناها فى هذا الموقف أن اليأس قد دفع بهذه المرأة الى آخر حدوده ، فانتهت الى حالةٍ من الجنون بفكرتها الشهوانية ، ولم تعد لا ملكة ولا امرأة ، بل أنوثةً حيوانيةً صِرفة ، متكشفةً مصرحة ، كما تكون أنثى الحيوان فى أشد اهتياجها وغليانها !

هذه ثلاثة أطوار يترقى بعضها من بعض ، وفيها طبيعةُ الأنوثة نازلةً من أعلاها إلى أسفلها . فاذا انتهت المرأةُ إلى نهايتها ولم يَبْقَ وراء ذلك شىءٌ تستطيعه أو تعرضه بدأت من ثَمّ عظمةُ الرجولة السامية المتمكّنة فى معانيها ، فقال يوسف : « معاذ الله » ثم قال : « إنه ربى أحسنَ مثواى » ثم قال : « إنه لا يُفلحُ الظالمون . » وهذه أسمَى طريقةٍ إلى تنبيه ضمير المرأة فى المرأة ؛ إذ كان أساسُ ضميرها فى كل عصر هو اليقينَ بالله ، ومعرفةَ الجميل ، وكراهةَ الظلم . ولكن هذا التنبيه المترادفَ ثلاثَ مرّات لم يكسر من نزوتها ، ولم يَفْثأ تلك الحدّة ، فان حبّها كان قد انحصر فى فكرةٍ واحدة اجتمعت

بكلّ أسبابها فى زمن فى مكان فى رجل ، فهى فكرة محتبسة كأن الأبواب مغلّقة عليها أيضاً ؛ ولذا بقيت المرأة ثائرة ثورة نفسها . وهنا يعود الأدب الإلهى السامى إلى تعبيره المعجز فيقول : « ولقد همّت به » كأنما يومئ بهذه العبارة إلى أنها ترامت عليه ، وتعلّقت به ، والتجأت إلى وسيلتها الأخيرة ، وهى لمس الطبيعة بالطبيعة لألقاء الجمرة فى الهشيم . . . !

جاءت العاشقة فى قضيتها ببرهان الشيطان الذى يقذف به فى آخر محاولته . وهنا يقع ليوسف عليه السلام برهان ربّه كما وقع لها هى برهان شيطانها . فلولا برهان ربّه لكان همّ بها ، ولكان رجلاً من البشر فى ضعفه الطبيعى

قال أبو محمد : وههنا ههنا المعجزة الكبرى ، لأن الآية الكريمة تريد ألاّ تنفى عن يوسف عليه السلام فحولة الرجولة ، حتى لا يظنّ به ، ثم هى تريد من ذلك أن يتعلّم الرجال ، وخاصة الشبان منهم ، كيف يتسامون بهذه الرجولة فوق الشهوات ، حتى فى الحالة التى هى نهاية قدرة الطبيعة ؛ حالة ملكة مطاعة فاتنة عاشقة مختلية متعرّضة متكشّفة متهالكة . هنا لا ينبغى أن ييأس الرجل ، فان الوسيلة التى تجعله لا يرى شيئاً من هذا — هى أن يرى برهان ربّه

وهذا البرهان يؤوّله كلّ إنسان بما شاء ، فهو كالمفتاح الذى يوضع فى الأقفال كلّها فيفضّها كلّها ؛ فاذا مثّل الرجل لنفسه فى تلك الساعة أنه هو وهذه المرأة أمام الله يراهما ، وأن أمانىّ القلب التى تهجس فيه ويظنها خافية ، إنما هى صوت عالٍ يسمعه الله ؛ وإذا تذكّر أنه سيموت ويقبر ، وفكّر فيما يصنع الثرى فى جسمه هذا ، أو فكّر فى موقفه يوم تشهد عليه أعضاؤه بما كان يعمل ، أو فكّر فى أن هذا الأثم الذى يقترفه الآن سيكون مرجعه عليه فى أخته أو بنته — إذا فكّر فى هذا ونحوه رأى برهان ربّه يطالعه فجأة ، كما يكون السائر فى الطريق غافلاً مندفعاً إلى هاوية ، ثم ينظر فجأة فيرى برهان عينيه ؛ أتروْنه يتردّى فى الهاوية حينئذ ، أم يقف دونها وينجو ؟ احفظوا هذه الكلمة الواحدة التى فيها أكثر الكلام ، وأكثر الموعظة ، وأكثر التربية ، والتى هى كالدّرع فى المعركة بين الرجل والمرأة والشيطان ، كلمة « رأى برهان ربّه »

قال عبد الرحمن بن عبد الله وهو يتحدث إلى صاحبه سهيل ابن عبد الرحمن : ولزمت الامام بعد ذلك ، وأجمعت أن أتشبّه به ، وأسلك فى طريقه من الزهد والمعرفة ؛ ثم رجعت إلى المدينة وقد حفظت الرجل فى نفسى كما أحفظ الكلام ، وجعلت شعارى فى كل نزعة من نزعات النفس هذه الكلمة العظيمة : « رأى برهان ربّه » ، فما ألممت بإثم قطّ ، ولا دانيت معصية ، ولا رهقنى مطلب من مطالب النفس إلى يوم الناس هذا ، وأرجو أن يعصمني الله فيما بقى ، فان هذه الكلمة ليست كلمة ، وإنما هى كأمرٍ من السماء تحمله تمرّ به آمناً على كل معاصى الأرض فما يعترضك شئ منها كأن معك خاتم الملك تجوز به

قال سهيل : فلهذا لقّبك أهل المدينة « بالقسّ » لعبادتك وزهدك وعزوفك عن النساء ، وقليل لك والله يا أبا عبد الله ، فلو قالوا : ما هذا بشراً إن هذا الا ملك ، لصدقوا

* * *

قالت سلاّمة جارية سهيل بن عبد الرحمن المغنّية الحاذقة الظريفة ، الجميلة الفاتنة ، الشاعرة القارئة ، المؤرخة المتحدثة ، التى لم يجتمع فى امرأة مثلها حسن وجهها ، وحسن غنائها ، وحسن شعرها — قالت : واشترانى أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك بعشرين ألف دينار « عشرة آلاف جنيه » وكان يقول : ما يقرّ عيني ما أوتيت من الخلافة حتى أشترى سلاّمة ؛ ثم قال حين ملكني : ماشاء بعدُ من أمر الدنيا فليفتني ! قالت : فلما عرضت عليه أمرنى أن أغنيه ، وكنت كالمخبولة من حبّ عبد الرحمن القسّ ، حباً أراه فالقاً كبدى ، آتياً على حشاشتى ؛ فذهب عنى والله كلّ ما أحفظه من أصوات الغناء ، كما يمسح اللوح بما كتب فيه ، وأنسيت الخليفة وأنا بين يديه ، ولم أرَ الا عبد الرحمن ومجلسه مني يوم سألنى أن أغنيه بشعره فىّ ، وقولى له يومئذ : حبّاً وكرامة وعزازة لوجهك الجميل . وتناولت العود وجسسته بقلبى قبل يدى ، وضربت عليه كأنى أضرب لعبد الرحمن ، بيدٍ أرى فيها عقلاً يحتال حيلة امرأة عاشقة . ثم اندفعت أغني بشعر حبيبي :

إن التى طرقتك بين ركائب ... تمشى بمزهرها وأنت حرامُ

لِتَصِيدَ قلبَكَ ، أو جزاءَ مودَّةٍ   إن الرفيقَ له عليكَ ذِمامُ
باتتْ تُعَلِّلُنا وتحسِبُ أننا   فى ذاك أيقاظٌ ، ونحن نيامُ

وغنيته والله غناء والهةٍ ذاهبةِ العقل كاسفةِ البال ، ورددتُه كما رددتُه لعبد الرحمن ، وأنا اذ ذاك بين يديه كالوردة أولَ ماتتفتح . وأنا أنظر اليه وأتبين لصوتى فى مسمعيه صوتاً آخر ... وقطعته ذلك التقطيع ، ومددتُه ذلك التمديد ، وصحت فيه صيحةَ قلبي ونفسي وجوارحي كلها كما غنيت عبد الرحمن ، لكنها أؤدِى الى قلبه المعنى الذى فى اللفظ ، والمعنى الذى فى النفس جميعاً ، ولكنها أسكره – وهو الزاهد العابد – سكرَ الخمر بشئ غير الخمر !

وما أفقتُ من هذه الغَشْيَةِ إلا حين قطعتُ الصوت ، فاذا الخليفة كأنما يسمع من قلبي لا من فمي وقد زلزلَه الطرب ، وما خفى علىّ أنه رجلٌ قد ألمَّ بشأن امرأة ، وخشيتُ أن أكون قد افتضحتُ عنده ؛ ولكنْ غلبته شهوتُه ، وكان جَنَداً عافيه ، يريد جداً لِما فيه ، فمِن ثَمّ لم يُتنكر ولم يتغيرْ .

واشترانى وصرتُ إليه ، فلما خلَوْنا سألنى أن أغنى ، فلم أشعر إلا وأنا أغنّيه بشعر عبد الرحمن :

ألا قلْ لهذا القلبِ : هل أنت مُبْصِرُ
وهل أنتَ عن سلاّمةَ اليومَ مُقْصِرُ
إذا أخذتْ فى الصوتِ كاد جليسُها
يطيرُ إليها قلبُه حين تنظرُ

وأديتُه على ما كان يستحسنه عبدُ الرحمن ويطربُ له ، إذ يسمع فيه همْساً من بكائى ، ولهفةً مما أجده به ، وحسرةً على أنه ينسكب فى قلبي وهو يَصُدُّ عني ويتحامانى ، وما غنيتُ : « وهل أنتَ عن سلاّمةَ اليومَ مُقْصِرُ » إلا فى صوتٍ تنوح به سلاّمةُ على نفسها وتندب وتتفجّع !

فقال لى يزيد وقد فضحتْ نفسى عنده فضيحةً مكشوفة : يا حبيبتى ، مَن قائلُ هذا الشعر ؟

قلت : أحدّثك بالقصة يا أمير المؤمنين ؟

قال : حدّثيني

قلت : هو عبد الرحمن بن أبي عمار الذى يلقبونه بالقَس لعبادته ونسكه ، وهو فى المدينة يُشبه عطاءَ بن أبى رباح ، وكان صديقاً لمولاى سُهَيْل ، فمرّ بدارنا يوماً وأنا أغنى فوقف يسمع ، ودخل علينا « الأحْوَصُ » فقال : ويْحَكُمْ ! لكانَّ الملائكة والله تتلو مزاميرَها بحَلْق سلاّمة ، فهذا عبد الرحمن القسّ قد شُغل بما يَسمع منها ، وهو واقف خارجَ الدار . فتسارعَ مولاى نخرج إليه ودعاه إلى أن يدخل فيسمع منّى فأبَى ! فقال له : أما علمْتَ أن عبد الله بن جعفر ، وهو مَنْ هو فى محلّه وبيتِه وعلمِه قد مَشَى إلى جميلة أستاذةِ سلاّمة حين عَلِمَ أنها آلَتْ أليّةً ألا تُغنّي أحداً إلا فى منزلها ؛ فجاءها فسمع منها ، وقد هيّأت له مجلسها ، وجعلتْ على رءوس جواريها شعوراً مُسْدَلةً كالعناقيد ، وألبستهنّ أنواع الثياب المصبّغة ، ووضعتْ فوق الشعور التيجان ، وزينتهنّ بأنواع الحلِيّ ، وقامتْ هى على رأسه ، وقام الجوارى صفّين بين يديه ، حتى أقسم عليها فجلستْ غير بعيد ، وأمرَتِ الجوارى فجلسْنَ ، ومع كلّ جارية عودُها ؛ ثم ضربْن جميعاً وغنّتْ عليهنّ ، وغنّى الجوارى على غنائها ، فقال عبد الله ، ما ظننتُ أن مثل هذا يكون !

وأنا أُقعِدُكَ فى مكانٍ تسمع مِن سلاّمة ولا تراها ، إن كنتَ بالمنزلة التى لم يبلغها عبدُ الله بن جعفر !

قالت سلاّمة : وكانت هذه والله يا أمير المؤمنين – رُقْيَةً من رُقَى إبليس ؛ فقال عبد الرحمن : أمّا هذا فنَعَم . ودخل الدار وجلس حيث يسمع ، ثم أمرنى مولاى فخرجتُ إليه خروجَ القمرِ مَشْبُوباً من سحابةٍ كانت تغطيه ، فما رآنى حتى عَلِقْتُ بقلبه ، وسبّحَ طويلاً طويلاً ، وما رأيتُه حتى رأيتُ الجنةَ والملائكة ، ومُتُّ عن الدنيا وانتقلتُ إليه وحده . . .

قالت سلاّمة : وافتضحتُ مرةً أخرى ، فتنحنحَ يزيد . . . فضحكتُ وقلت : يا أمير المؤمنين ، أحدّثك أم حسبُك ؟ قال : حدّثيني ويحكِ ! فوالله لو كنتِ فى الجنة كما أنتِ لأعدْتِ قصةَ آدم مع واحدٍ واحدٍ من أهلها حتى يُطردوا جميعاً من حسنِها الى حسنك ! فما فعلَ القَسُّ ويحك ؟

قلتُ : يا أمير المؤمنين ، إنه كان يُدعَى القسّ قبل أن يهوانى

فقال يزيد : وهل عجبٌ وقد فتنته أن يعارده «البطريق»

قلت : بل العجبُ وقد فتنتُه أن يصير هو البطاريق . . . !

فضحك يزيد وقال : إيهِ ، ما أحسب الرجلَ الا قد دُهي منك بداهية ! فحدثيني فقد رفعتُ التَّبِرة ؛ إني والله ما أرى هذا الرجل في أمره وأمرك الا كالفحل من الأبل ، قد تُرِكَ من الركوب والعمل ، ونُعّم وسمّن للفِحْلة ، فنَدّ فذهب على وجهه ، وأقتَحَم في مفازة ، وأصاب مرتعا فتوحّشَ واستأسد ، وتبين عليه أثرُ وحشيته ، وأقبل إقبالَ الجنّ من قوة ونشاطٍ وبأس شديد ؛ فلما طال انفراده وتأبُّدُه عرَضَتْ له في البرّ ناقةٌ كانت قد ندتْ من عطَنها ، وكانتْ فارِهةً جسيمةً قد انتهت سمناً وغطاها الشحم واللحم ، فرآها البازلُ الصئول فهاج وصال وهدَر ، يخبطُ بيده ورجله ، ويُسمعُ لجوفه دويٌّ من الغلَيان ، واذا هي قد ألقتْ نفسها بين يديه ! أما والله لو جعلَ الشيطانُ في يمينه رجلاً فحلاً جميلاً ، وفي شماله امرأةً جميلةً تهواه ، ثم تمطى متدافعاً ومدَّ ذراعيه فابتعدا ، ثم تراجعَ متداخلاً وضم ذراعيه فالتقيا ، لكان هذا شأنَ ما بينك وبين القسّ !

قلت : لا والله يا أمير المؤمنين ؛ ما كان صاحبي في الرجال فحلاً ولا جملاً ، وما كان الفحلَ الا الناقةُ . . . ! وما أحسب الشيطانَ يعرف هذا الرجل ، وهل كان للشيطان عملٌ مع رجلٍ يقول . إني أعرف دائماً فكرتي ، وهي دائماً فكرتي لا تتغيرَ . ذالك رجل أساسه كما يقول « برهانُ ربه » ولقد تصنّعْتُ له يا أمير المؤمنين ، وتشكلْتُ وتحليتُ وتبرجتُ ، وحدّثتُ نفسي منه بكثير ، وقلت إنه رجل قد غبر شبابه في وجود فارغٍ من المرأة ، ثم وجد المرأة فيّ . وغنّيته يا أمير المؤمنين غناء جوارحي كلها ، وكنت له كأني حريرٌ ناعمٌ يترجرجُ وينشر أمامه ويُطوَى ، وجلستُ كالنائمة في فراشها وقد خلا المجلس ، وكنتُ من كل ذلك بين يديه كالفاكهة الناضجة الحلوة تقول لمن يراها : كُلْني . . . ! »

قال يزيد : ويحك ويحك ! وبعد هذا ؟

قلت : بعد هذا يا أمير المؤمنين ، وهو يهواني الهوى البرّحَ ، ويعشقني العشقَ المُضني — لم يرَ في جمالي وفتنتي واستعلائي إلا أن الشيطان قد جاءَ يَرْشوه بالذهب . . . بالذهبِ الذي يتعامل به !

فضحك يزيد وقال : لا والله ، لقد عرَض الشيطانُ منك ذهبَه ولؤلؤَه وجواهرَه كلَّها ، فكيف لعَمري لم يُفلح ؛ وهو لو رَشاني من هذا كله بدرهم لوجد أمير المؤمنين شاهدَ زور ... !

قلت : ولكني لم أيأس يا أمير المؤمنين ، وقد أردتُ أن أظهَر امرأة فلم أفلح ، وعملتُ أن أظهَرَ شيطانةً فانخذلت ، وجهَدتُ أن يرى طبيعتي فلم يرَني إلا بغير طبيعة ، وكلما حاولتُ أن أزل به عن سكينته ووقاره رأيتُ في عينيه ما لا يتغير كنور النجم ، وكانت بعضُ نظراته لي والله كأنها عصا المؤدّب ، وكأنه يرى في جمالي حقيقةً من العبادة ، ويرى في جسمي خُرافة الصنم ، فهو مُقبلٌ عليّ جميلةً ، ولكنه مُنصرفٌ عني امرأةً

لم أيأس على كلّ ذلك يا أمير المؤمنين ، فان أولَ الحب يطلبُ آخرَه أبدا الى أن يموت . وكان يُكثِر من زيارتي ، بل كانتْ إليّ الغَدْوَةُ والرَّوحة ، من حبّه إياي وتعلّقه بي ، فواعدته يوماً أن يجيء متى وارى الليل أهلَه لأغنّيه « ألا قل لهذا القلب... » وكنتُ لحّنته ولم يسمعْه بعدُ . ولبثت نهاري كلّه أستروِح في الهواء رائحةَ هذا الرجل مما أتلهّف عليه ، وأتمثّل ظلامَ الليل كالطريق الممتدّ إلى شيءٍ مخبوء أعلّل النفس به . وبلغْتُ ما أقدر عليه في زينة نفسي وإصلاح شأني ، وتشكّلتُ في صنوف من الزهر ، وقلت لأجملهنّ وهي الوردة التي وضعتها بين نهديّ : يا أختي ، اجذِبي عينَه اليكِ ، حتى إذا وَقفَ نظرُه عليكِ فأنزِلي به قليلا أو اصعدي به قليلا

قال يزيد وهو كالمحموم : ثمّ ثمّ ثمّ ؟

قلت يا أمير المؤمنين : ثم جاء مع الليل ، وإن المجلس لخالٍ ما فيه غيري وغيره ، بما أُكابدُ منه وما يُعاني مني . فغنيته أحرّ غناءٍ وأشجاه ، وكان العاشق فيه يطرب لصوتي ، ثم يطرب الزاهد فيه من أنه استطاع أن يطرب ، كما يَطيش الطفلُ ساعةَ ينطلق من حبس المؤدّب

وما كان يسوؤني إلا أنه يُمارس في الزهدَ مُمارسة ، كأنما

أنا صعوبةٌ إنسانية فهو يريد أن يغلبها ، وهو يجرّب قوى نفسه وطبيعته عليها ، أو كأنه يرانى خيال امرأة فى مرآة ، لا امرأةً ماثلة له بهواها وشبابها وحسنها وفتنتها ، أو أنا عنـــده كالحوريّة من حور الجنة فى خيالٍ من هى ثوابه ، تكون معه ، وإن بينها وبينه من البعد ما بين الدنيا والآخرة ، فأجمعت أن أحطم المرآة ليرانى أنا نفسى لا خيالى ، واستنجدت كلّ فتنتى أن تجعله يفرُّ الىّ كلما حاول أن يفرّ منى

فلما ظننتُنى ملأتُ عينيه وأذنيه ونفســه ، وانصببت اليه من كل جوارحه ، وهجتُ التيار الذى فى دمه ودفعتُه دفعاً ـ قلت له : أنت يا خليلى شىء لا يُعرَف ، أنت شىء مُتلَفِّفٌ بانسان ، ومن التى تعشق ثوباً ليس فيه لابسه ؟

ورأيته والله يطوف عنـــد ذلك بفكره ، كما أطوّف أنا بفكرى حول المعنى الذى أردتُه . فملتُ اليه وقلت[١] : « أنا والله أحبك ! »

فقال : « وأنا والله الذى لا إلــه إلا هو »

قلت : « وأشتهى أن أعانقك وأقبلك ! »

قال : « وأنا والله ! »

قلت : « فما يمنعُك ؟ فوالله إن الموضع لخالٍ ! »

قال : يمنعنى قولُ الله عزّ وجلّ : « الأخِلاّء يومئذٍ بعضُهم لبعضٍ عدوٌّ إلا المتقـين » . فأكرهُ أن تحُولَ مودّتى لكِ عداوة يوم القيامة »

إنى أرى « برهان ربى » ياحبيبتى ، وهو يمنعنى أن أكون من سيئاتكِ وأن تكونى من سيئاتى ، ولو أحببت الأنثى لوجدتُكِ فى كل أنثى ، ولـكنى أحب ما فيكِ أنتِ بخاصّتك ، وهو الذى لا أعرفه ولا أنتِ تعرفينه ، هو معناكِ ياسـلاّمة لا شخصك

ثم قام وهو يبكى ؛ فما عاد بعد ذلك يا أمير المؤمنين ، ما عاد بعد ذلكْ ، وترك لى ندامتى وكلامَ دموعه ! وليتنى لم أفعل ، فقد رأى أن المرأة تـكشف وجهها للرجل أحياناً ، وكأنها لم تُلْقِ حجابها بل ألقتْ ثيابها ... ... ؟

طنطا مصطفى صادق الرافعى

(١) هنا نص كلامهما كما رواه صاحب الأغانى ، وهو كل القصة فى كتابه

الصراع بين الحبشة والاستعمار الغربى

وهل يبرر الاستعمار غزوها ؟

للأستاذ محمد عبد الله عنان

وقعت أخيراً عدة حوادث ومصادمات خطيرة على حــدود الحبشة بين الايطاليين والأحباش ؛ وكان المظنون أن الـكدر الذى أصاب العلائق الحبشية الايطالية من جراء حادث الاعتداء على القنصلية الايطالية فى جوندار قد زال بعد اعتذار الحـكومة الحبشية وقيامها بالترضـية المطلوبة . ولـكن حادثاً أشد خطورة وقع منذ أيام قلائل على الحدود الحبشية مما يلى السومال الايطالى ؛ فقد نشبت معركة دموية شديدة بين قوة من الأحباش وقوة من الايطاليين عند مركز اولوال الذى يدعيه كل منهما ، قتل وجرح فيها من الفريقين عدد كبير يقدر بالمئات ؛ وقد وقف القتال على أثر ذلك ، وانسحب الأحباش الى داخل الحدود ، ورفعت الحـكومة الحبشية الأمر الى عصبة الأمم ؛ ولـكن الجو ما زال كدراً مثقلاً بمختلف الاحتمالات

ومما يلفت النظر بنوع خاص أن يقع هذا التوتر وهـذه الحوادث الخطيرة بين الدولتين عقب الزيارة الملـكية التى قام بها ملك ايطاليا فى الاريتريا والسومال ، والمظاهرات العسكرية التى نظمتها السلطات الايطاليـة بهذه المناسبة . ولا ريب أن طواف ملك ايطاليا بالأملاك الايطالية فى افريقية الشرقية لم يكن بقصد النزهة والتريض ، ولـكنها زيارة سياسية ظاهرة المغزى ، وطليعة خطة جـــديدة تزمع ايطاليا الفاشستية انتهاجها فى سياستها الاستعمارية . ومن المعروف أن ايطاليا الفاشـستية تعنى عناية شـديدة بالتوسع الاستعمارى ، وأنها خطت فى ذلك السبيل خطوات واسـعة فى طرابلس ، حيث استطاعت أن تتوغل فى داخلها بعد أن لبثت منـذ غزوها تقتصر على احتلال البلاد الساحليـة وما يليها الى مسافة قصيرة ، واستطاعت بواسطة انكلترا أن تنتزع واحة جغبوب المصرية وما يليها بمقتضى المعاهدة